الرجاء الحى

للقس أغسطينوس حنا

وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ
يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ

(١بط ١: ٣)

الرجاء هو أحد الفضائل الثلاث الكبرى فى المسيحية حسب قول معلمنا الرسول بولس فى أصحاح المحبة الخالد برسالة كورنثوس الأولى ١٣ ، " لتثبت فيكم هذه الثلاثة الإيمان والرجاء والمحبة . . ." (١كو ١٣:١٣) . نعم هذه الثلاثة التى لا نخلص بدونها ولا نستمتع بالحياة الروحية والشركة مع الله إلاّ بها .

قال أحدهم أن الإنسان لا يقدر أن يعيش بدون ماء أكثر من ثلاثة أيام ، ولا يقدر أن يعيش بدون طعام أكثر من ثلاثة أسابيع ، ولا يقدر أن يعيش بدون هواء أكثر من ثلاثة دقائق ، ولا يقدر أن يعيش بدون رجاء ولا دقيقة واحدة ، لأنه إذا فقد الرجاء ووقع فى اليأس فسوف ينتحر !'

وهذه هى أهم معانى للرجاء :

١ – الأمل :

المعنى الأول فى الرجاء هو الأمل ، فالرجاء والأمل فى اللغة الانجليزية يترجمان بكلمة واحدة هى Hope وهذا ظاهر فى الآيات الآتية " الفلاح يحرث على رجاء " (١كو ١٠:٩) ، أى على أمل الحصاد . ويقول الحكيم سليمان " أرأيت إنساناً عجولاً فى كلامه، الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به " (ام ٢٠:٢٩). ويقول أيضاً " أدّب إبنك لأن فيه رجاء " (أم١٨:١٩) ، أى فيه أمل . وكقول القديس بولس الرسول عندما حطمت الريح العاصفة أشرع السفينة وحطمت الدفة وفقد كل سيطرة على السفينة "انتزع أخيراً كل رجاء فى نجاتنا . . . وسلمنا فصرنا نُحمل " (١ع ١٥:٢٧ – ٢٠) . . . أى فقدنا كل أمل فى النجاة .

٢ – الرجاء بمعنى الطلب :

وهذا متداول فى أحاديثنا اليومية عندما تقول :" لى رجاء عندك " بمعنى لى طلب عندك . وهذا يتضح مثلاً من قول المزمور " أعين الكل إياك تترجى "(مز ١٥:١٤٥)، أى تطلبك أو توجه طلبتها اليك .

٣ – الرجاء بمعنى الانتظار :

فيقول أيوب الصدّيق : "كما يترجى الأجير أجرته" (أى ٢:٧) ، أى كما ينتظر أجرته . ويقول أيضاً "لماذا إذا ترجيت الخير جاء الشر" (٢٦:٣٠). ويقول أرميا النبى فى مراثيه "صالح هو الرب للذين يترجونه" (مراثى ٢٥:٣) أى للذين ينتظرونه . ويقول الإنجيل أن هيرودس ترجى أن يرى آيه تصنع منه" (لو٨:٢٣). اى انتظر.

وربما هناك معنى رابع تمتزج فيه المعانى الثلاثة السابقة معاً أى الأمل والطلب والانتظار. والرجاء مرتبطاً بالإيمان بالقيامة من الأموات وانتظار الحياة الأبدية مثلما نقول فى خاتمة قانون الإيمان ' **وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى** ' أى لنا أمل وإيمان وانتظار وطلب وتوقع للقيامة والحياة الأبدية . ومن هذا القبيل قول الرسول بولس " على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم" (أع ١٦:٢٣). وأيضاً قوله : لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدين بيسوع سيحضرهم لله أيضاً معه" (١تس ١٣:٤). "ومنتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم مخلصنا يسوع المسيح" (تى ١٣:٢).

أساس الرجاء :

والرجاء المسيحى هو أكثر من الأمل واكبر وأقوى وأعظم منه ، لأن الأمل قد يكون وليد الأمانى والأحلام أو الأوهام أو كلام الناس ، وهذه قد تتحقق أو لا تحقق. ولكن الرجاء ثابت وقوى ومتين ولا يخزى كقول الكتاب "والرجاء لا يخزى" (رو ٥:٥)، **لأن له أساس صخرى ودعامات ثابتة أكيدة أهمها ثلاثة هى الإيمان وكلمة الله وقيامة المسيح . . .**

١ – الإيمان :

فالرجاء مبنى على الإيمان السليم بالرب ، بل أن الرجاء يدخل فى صميم نسيج الإيمان وتركيبه ومكوناته وتعريفه .

فيعرّف الرسول بولس الإيمان بأنه "الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى" (عب ١١:١). أى أن الإيمان ثقة وتأكيد لما يترجاه المؤمن من حقائق غير منظورة بناء على إعلانات الله الصادقة.

٢ - كلمة الله :

وهذه الكلمة الإلهية والوعود الصادقة للإله القدوس الصادق والأمين الكامل الذى لا يكذب والقادر على كل شئ الذى قال : ' **السماء والأرض تزولان وكلامى لا يزول** ' (مت٢٤:٣٥) ، هى أساس إيماننا وأساس رجائنا الصخرى الثابت " فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه **برجل عاقل بنى بيته على الصخر** ' (مت ٧:٢٤). ويقول "الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله "(رو ١٠:١٧). **"وعلى رجاء الحياة الأبدية التى وعد بها الله المنّزه عن الكذب"** (تى ١:٢)، ويوضح لنا الرسول بولس أيضاً ارتباط الرجاء بكلمة الله ووعده بل وقسمه فيقول :" فلذلك إذ أراد الله أن يظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد عدم تغيّر قضائه توسط بقسم حتى بأمرين عديمى التغير لا يمكن أن الله يكذب فيما تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤمنة وثابتة.." (عب ٦:١٧-١٩).

٣ - قيامة المسيح :

إن قيامة الرب يسوع هى الأساس الثالث الكبير لرجائنا . وهذا ظاهر من افتتاح الرسول بطرس رسالته الأولى بقوله : مبارك الرب يسوع المسيح الذى **حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حىّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السماوات لأجلكم . أنتم الذين بقوة الله محروسون** بإيمان لخلاص مستعد أن يظهر فى الزمان الأخير " (ابط ١:٣-٥). وقدم الرسول بولس شرحاً وافياً لهذه الحقيقة فى رسالته الأولى إلى تسالونيكى ٤:١٣-١٨ ،

وأيضاً فى الإصحاح ١٥ من رسالة كورنثوس الأولى بأكمله . فأوضحه بأن قيامة المسيح هى أساس إيماننا وأساس رجائنا وأساس قيامتنا وأبديتنا السعيدة ، وأنه لو كان رجاؤنا فى المسيح قاصراً على هذه الحياة (الأرضية) فقط فإننا نكون أشقى جميع الناس (١كو ١٥:١٩)، ولكننا نتعب ونضطهد ونتألم ونضحى بكل شئ فى هذه الحياة الحاضرة من أجل رجاء الحياة الابدية السعيدة المجيدة .

وللرجاء مجالان :

يوجد مجالان أساسيان للرجاء ، الأول فى ضيقات الحياة الحاضرة ، والثانى وهو الأهم فى السماء والحياة الأبدية السعيدة المجيدة مع الله .

المجال الأول - فى ظروف وضيقات الحياة الحاضرة

بالرجاء يحيا المؤمن سعيداً مطمئناً وينتصر على الآلام والأحزان والتجارب والأمراض والمخاوف وأقسى ظروف الحياة وضيقاتها وتقلّباتها . فالمسيح هو رجاؤنا الثابت الدائم وملجأنا وحصننا المنيع . ولذلك يعزى أحد الأصحاب أيوب فى ضيافته بقوله " وإن تكن أُولاك صغيرة فآخرتك تكثر جدا " (اي٨:٧) . ويقول الرسول بولس " المسيح فيكم رجاء المجد " (كو ١:٢٧).

المسيح هو رجاء الخطاة ومخلصهم حتى أنه يقدر أن يُخلّص أشر الخطاة مثل اللص اليمين وزكا العشّار والسامرية التى كان لها خمسة أزواج والمجدلية التى كان فيها سبعة شياطين والمرأة التى أمسكت فى ذات الفعل ولا دفاع لها بل يخلص حتى ما قد هلك وانقطع رجاء البشر فيه مثل أغسطينوس وموسى الأسود وتاييس ومريم القبطية وملايين من أمثالهم.

والمسيح هو رجاء المرضى مهما كان مرضهم مستعصياً أو طويلاً .

فقد كان مرض مفلوج بركة بيت حسدا بالشلل الكلى لمدة ٣٨ سنة مستعصياً وطويلاً جداً ومع ذلك فقد شفاه رب المجد بكلمة إذ رأى عنده إيمان ورجاء فى الشفاء بدليل أنه لا

يزال يترجى الشفاء ولم ييأس . وشفى نازفة الدم بعد ١٢ سنة ، وشفى المولود أعمى الذى لا نعرف عمره وقد يكون خمسين أو ستين سنة !

وما أجمل كلمات صلاة (أوشية المرضى) التى تنادى فيها السيد المسيح " **يا رجاء من ليس له رجاء ، ومعين من ليس له معين. عزاء صغيرى القلوب ، ميناء الذين فى العاصف** ".

والمسيح هو رجاء المظلومين والضعفاء والمنكسرى القلوب والذين فى وسط الآتون المحّمى بالنار سبعة أضعاف. بل أن له فى الموت مخارج " حتى يايروس الذى ماتت إبنته بينما كان المسيح فى طريقه إليها وقالوا لأبيها : " لا تتعب المعلم فقد ماتت البنت " ولكن الرب يسوع قال له لا تخف . آمن فقط ولا تقطع الرجاء ، واقامها له" (مرقس ٤٢ ، ٢٢:٥).

يقول قداسة البابا شنودة " الرجاء **نافذة من نور تشرق على النفس التى يكتنفها الظلام** ".

المجال الثانى – الرجاء فى السماء والحياة الأبدية :

وصف الرسول بولس الرجاء فى السماء بالهلب أو المرساة التى تربط السفينة بالشاطئ فلا يسحبها البحر فى داخله فيقول : " لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لنا " (عب ١٥:٦-١٩).

إذاً فرجاؤنا كمؤمنين فى السماء ، ليس مجرد أمل بعيد المنال أو عشم إبليس فى الجنة ! ولكنه رجاء ثابت كما نصفه فى القداس ، ورجاء لا يخزى ، وهو الدافع والحافز لنا على الجهاد الروحى وتحمل التعب والتضحية والأضطهاد والضيق من أجل المسيح الذى أحبنا وأحببناه والحياة الأبدية التى أعطاها لنا بنعمته عطية مجانية . (رو ٢٣:٦).

وقد جعل الرب نداء الرجاء والحنين للأبدية فى قلوبنا فيقول الحكيم سليمان : " جعل الأبدية فى قلبهم التى بلاها

لا يفهم الإنسان كل العمل الذى عمله الله تحت الشمس (جا ٣: ١١) . لذلك يقول داود النبى "جسدى أيضاً سيسكن على رجاء" (مز ١٦، اع ٢: ٢٦) . والرجاء هنا هو رجاء القيامة والحياة الأبدية . ويقول الرسول المغبوط بولس متوقعين التبنى فداء أجسادنا لأننا بالرجاء خلصنا ... (رو ٨: ٢٣-٢٥). ويطالبنا دائماً بأن نكون فرحين فى الرجاء صابرين فى الضيق (رو ١٢: ١٢). إننا نحتاج لجرعة كبيرة من الرجاء الحى المبارك فى السماء حتى تمتلئ حياتنا بالفرح والتعزية والنصرة والسلام والشعور بالأطمنان وعدم الخوف من الموت.

ولعل حفظ الآيات والشواهد الآتية والتأمل فيها يساعدنا على تحقيق هذه الغاية وتقوية الرجاء :

(١) - "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية **لرجاء حىّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم أنتم الذين بقوة الله محروسون** "(١بط ١: ٣-٥). إن إيماننا بالمسيح ومعموديتنا تعطينا ولادة ثانية لرجاء حى مبنى على موت المسيح وقيامته وتمنحنا بنوية لله وميراثاً محفوظ فى السموات لأجلنا ونحن محروسون بقوة الله للتمتع به .

(٢) - ويقول الرب يسوع : "لا تخف أيها القطيع الصغير لأن اباكم سُر بأن يعطيكم الملكوت" (لو ١٢: ٣٢).

(٣) - ويقول له المجد : "**لا تضطرب قلوبكم ... فى بيت أبى منازل كثيرة ، أنا أمضى لأعد لكم مكاناً ومتى أعددت المكان آتى أيضاً وأخذكم إلىّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً**" (يو ١٤: ١ - ٣).

(٤) - "**إفرحوا بالحرى لأن أسماءكم كتبت فى السموات**" (لو ١٠: ٢٠).

(٥) - "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى **فله حياة ابدية ولا يأتى إلى دينونة بل انتقل من الموت إلى الحياة**" (يو٥: ٢٤).

(٦) - يقول الرسول يوحنا الحبيب : "كتبت إليكم أنتم المؤمنون

باسم إبن الله لكى تعلموا أن لكم حياة ابدية " (١يو ٥:٢٤).
(٧) - " المسيح فيكم رجاء المجد " (كو ١:٢٧).
(٨) - " مستعدين دائماً لمجاوبة الذين يسألونكم عن سبب
الرجاء الذى فيكم " (١بط ٣:١٥) .
(٩) - تضمنت معظم تطوييات الرب يسوع المسيح له المج
فى الموعظة على الجبل وعوداً بالمكافأة الأبدية " لأن لك
ملكوت السموات "، "**إفرحوا وتهللوا لأن أجركم عظي
فى السموات** " (متى ٥:٣، ١٢، ١٠).
(١٠) - " **أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتن
يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتن**
(يو ١٧:٢٤).
(١١) - " **كما اختارنا فيه (فى المسيح) قبل تأسيس
العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة إذ سبق
فعيينا للتبنى** " (افسس ١:٤).
(١٢) - " **مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجا
دعوته وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين**
(اف ١:١٨).
(١٣) - " **إن جنسيتنا هى فى السموات** " (فيلبى ٣:٢٠).
(١٤) - " **وباقى العاملين معى الذين أسماؤهم فى سف
الحياة** " (فى ٤:٣).
(١٥) - " **ومتى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنت
ايضاً معه فى المجد** " (كو ٣:٤).
(١٦) - " **لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول الى ملكوت
ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى** " (٢بط ١:١١).
(١٧) - " **انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولا
الله . . . ولكن نعلم انه متى أُظهر نكون مثله لأننا سنرا
كما هو . وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كم
هو طاهر** " (١يو ٣:١-٣).
(١٨) - " **اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء** " (متى ٦:٢٠).
(١٩) - "**لأنك تكافئ فى قيامة الأبرار**" (لو١٤:١٤).
(٢٠) - "كنت أميناً فى القليل فأُقيمك على الكثير . أُدخل
الى فرح سيدك " (متى ٢٣، ٢٥:٢١).